لماذا نقوم بتدريس الفن في مرحلة المراهقة؟

مقال وجهة نظر

* مصطفى محمد عبد العزيز حسن
* أستاذ علم النفس ومادة تحليل التعبير الفني لفنون الأطفال والبالغين المتفرغ - كلية التربية الفنية - جامعة حلوان
البريد الإليكتروني: drmostafama@hotmail.com

تاريخ المقال:

- تاريخ تسليم المقال الكامل للمجلة: 07 يناير 2022
- تاريخ موافقة هيئة التحرير على النشر: 13 يناير 2022

مقدمة

كثرت التساؤلات وتنوعت ومازالت هذه التساؤلات مستمرة بين الطلاب والمعلمين حول أسباب تدريس الفن في مرحلة المراهقة، فبعض الطلاب يتساءل:

لماذا نقوم بتدريس الفن في مرحلة المراهقة - حتى الآن - وهو في الحقيقة يعتمد اعتمادا كبيرة على موهبة فطرية؟ ويتفاوت المراهقون في هذه الموهبة فتتضح لديهم بدرجات مختلفة ومتباينة. وسواء اتضحت الموهبة الفنية أم لم تتضح فالبعض يثير تساؤلا ثانية هو:

ماذا يريدون منا أن نعبر من خلال الفن عن أنفسنا؟ ولماذا يقوم الاخرون بتدريس الفن لنا؟

ومالذي يهدف إليه تدريس الفن للمراهقين.

وللإجابة على هذه التساؤلات يجب أن نقر أننا من المحتمل أن نتفق على أن الفن بما فيه الرسم والتصوير واستخدام خامات التعبير المختلفة يحتاج إلى موهبة فطرية - إستعداد - وذلك كما هو الحال في فنون الكتابة والغناء وغيرها، والاستعداد هو قابلية الشخص للقيام بنشاط عقلي معين بناء على تكوينه الطبيعي الموروث، أي أن الاستعداد موهبة فطرية.

إلا أن هذا الاستعداد أو هذه الموهبة لا يظهر أثرها أو تنمو نمو صحيحا أو تتطور إلى الإتجاهات الصحيحة إلا إذا وجدت العوامل المساعدة على ظهورها والتي لا تهملها أو توجهها توجيهات خاطئة فقد يستمر الاستعداد كامنا ولا يظهر أثره إذا لم تهيأ له الظروف للظهور. ومن هنا تأتي أهمية تدريس الفن في المدرسة إلا أن المدرسة ليست و هى أول الظروف المساعدة على ظهور الاستعداد الفنى فقد يجد الطفل الصغير أول هذه الظروف داخل منزله وذلك عن طريق مساعدات الوالدين وتهيئة الفرص seitinutroppO المناسبة التي يستطيع الطفل اكتشافها، والمعلم يمكن أن يضع نفسه على الطريق الصحيح في تهيئة الظروف المناسبة لظهور استعدادات المراهق الفنية سواء باتاحة الفرص للتجريب أو للإنتاج أو لاثارة الافكار أو لتعديل أفكاره، أو احتكاكه بخبرات كثيرة، واكتشاف الطرق الصحيحة لإعطاء كل طالب الثقة في استخدام الوسائل المختلفة للتعبير، والمراهق يحتاج إلى عمل أشياء خارج نطاق نفسه تعيد اليه الطمأنينة أو تقدم له المساعدة في الوقت الذي لا تستطيع فيها امكاناته أن تساعده وعن طريق إتاحة الفرص المناسبة للمساعدة على ظهور الاستعدادات الفنية للمراهقين وممارسة المراهق للفن تظهر القدرات الفنية المختلفة.

والقدرة هي ما يستطيع الشخص أن يقوم به فعلا أي ما يمكن انتاجه بطريقة ملموسة بناء على التدريب والمران والتعلم. أي أن القدرة مكتسبة وليست موروثة وطبيعي أن القدرة- كما أوضحنا - مبنية على الاستعداد فعندما توجد قدرة فنية مثلا عند شخص فلابد أن يكون عنده الاستعداد في هذه الناحية، وقد يوجد الاستعداد ولا توجد القدرة وعندما يكون الاستعداد عالية في هذه الناحية يسمى الشخص موهوبة، أي أن الموهوب عنده استعداد قوي في ناحية ما، هذا ولا تستعمل كلمة الموهبة في حالة القدرات الضعيفة.

وتظهر الاستعدادات الفنية في ناحيتين:

1. ناحية الإنتاج الفني :وهي المرتبطة بالجانب التعبيري.
2. ناحية التذوق الفني وتقدير الجمال

ومن الممكن أن يتوافر عند شخص معين القدرة على التذوق الفني وتقدير الجمال من غير أن يكون هو نفسه قادرة على الإنتاج الفني ولكن غالبا يكون الشخص القادر على التعبير الفني لديه القدرة على التذوق وتقدر الجمال.

مما سبق تتضح أهمية تدريس الفن في مرحلة المراهقة، حتى وإن كان من الشائع أن الفن موهبة فطرية لأن ممارسة الفن واتاحة الفرص المناسبة للتجريب والتوجيه في البيئة المحيطة (سواء المنزل أو المدرسة...) يساعد على ظهور هذه الاستعدادات والقدرات والا فسوف تبقى الاستعدادات كامنة تنتظر فرصة أخرى .. هذا وإذا علمنا أن الاستعداد الفني كأى استعداد أخر موجود لدى جميع الأفراد ولكن بقدر غير متساوي ندرك من هذا أهمية الفن للمراهقين للمساعدة على كشف استعدادات المراهقين في الفن على اختلاف مستوى هذه الاستعدادات، والعمل على توظيفها لجميع الطلاب.

وما يحاول أن يقوم به معلم الفن يحاول أن يقوم به أي معلم في أي مادة أخرى غير الفن، فكل مادة دراسية تحتاج إلى استعداد فطري، وهذا الاستعداد يختلف الطلاب فيه من حيث الدرجة، أي أن المعلم في أي مادة دراسية سيجد أمامه في كل فصل أصحاب القدرات العالية والعادية والمنخفضة في المادة التي يقوم بتدريسها، وواجبه أن يهتم بالجميع ويتقبل هذه المستويات المختلفة ويقوم بتعديل سلوكهم في مادته إلى الأفضل والأحسن، بالإضافة إلى اهتمامه بأصحاب المواهب في هذه المادة.

اذن فليس معنى ارتباط تدريس الفن بموهبة الا نكشف عن هذه المواهب، أو أن يقتصر إهتمامنا على أصحاب المواهب دون

غيرهم، لاننا اذا تخيلنا معلمي المواد الأخرى قد سلكو نفس السلوك لاقتصرت المدارس على أصحاب المواهب فقط دون العاديين من الطلاب، ويثير البعض تساؤلا ثانيا هو :لماذا نستمر في تدريس الفن في مرحلة المراهقة في الوقت الذي يركز فيه معظم المراهقين نشاطهم على المواد الدراسية الأخري، أو في مجالات أخري، بعد أن فقدوا اهتمامهم بالفن؟

لا شك أن بعض التلاميذ يفقدون اهتمامهم لممارسة الفن في مرحلة المراهقة، وربما كان من أسباب ذلك بعض المعوقات التي سوف نتناولها بالتفصيل بعد ذلك، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ضعف القدرة الفنية، وتناقض الثقافات والمدارس الفنية والتغير المستمر، وربط الاتجاه في الفن بما تعتقده الأغلبية.

يحدث هذا الافتقاد في الاهتمام في الوقت الذي لابد للمعلم والمراهق أيضا إتخاذ الطريق السليم لمواصلة النشاط الفني، والمعلم على وجه الخصوص يجب أن يكون في موقف الذي يمتلك القدرة على امتلاك المواصلة تجاه هؤلاء المراهقين فاقدي الاهتمام بممارسة الفن أو تذوقه، ويحتاج ذلك من المعلم أن يكون لديه الوقت الكافي لدراسة ومعرفة طلابه بطريقة جيدة، للوصول إلى الكشف عما يشعر به هؤلاء الطلاب ويجعله هاما وذو قيمة لديهم ويمكنهم التعبير عنه بالخامات الفنية المناسبة، خاصة أن كثير من المراهقين في هذه المرحلة يكونوا قد اكتشفوا أنفسهم من خلال التعبير عنها بوسائل أخرى كالكتابة، والمحادثة والتمثيل، والموسيقي، ومسايرة الزملاء دون تقليدهم .وبهذا يوفر المعلم للمراهقين ظروف مواتيه تجذبهم لممارسة للفن لممارسة أشياء قيمة بالنسبة لهم والمراهق إذا اكتشف أن هناك علاقات بين ما يدرسة في الفن وبين عالمه الخاص سوف يستعين بمعلمه في عالم المراهقة الصعب.

وعامة فسوف يقابل المعلم في هذه المرحلة كثيرة من الانحرافات المزاجية وكثيرة من الاستمتاع وعدم الفهم إلا أن هذا المراهق في استطاعته القيام في هذا السن بالعديد من التجارب الذاتية وحده والتي يستخدم فيها اللون، والخط والشكل ومن خلال هذه التجارب يستطيع أن يقدم الكثير وبدون التجارب لا يستطيع المراهق أن يقدم شيئا ذات قيمة في الفن وينتقل اهتمامه إلى نواحي أخرى بسبب خبراته التي جفت في الفن.

ويثير البعض الآخر هذا التساؤل الثالث:

هل يتوافر للمراهق - الآن - الوقت الكافي لممارسة الفن؟

لابد لممارسة الفن والتجريب فيه من توافر الوقت الكافي لذلك، فهل يتملك المراهق القلق والخوف من استمراره في ممارسة الفن وقتا معينا (خاصة ويمكنه أن يستغل هذا الوقت في أمور خاصة بدراسته) وإضافة مزيد من الأنشطة الرئيسية لدائرة اهتمامه؟

إنني أرى أن المراهق لابد له في أي وقت أن يستجيب لمشاعره في صورة فردية وخاصة بقدر استطاعته في استخدام الخامات المرتبطة بالتصوير أو الخزف والنحت أو النجارة وأي خامة يستطيع أن يكتشفها وعن طريق الممارسة سيكتسب المراهق العديد من نواحي التعلم في الفن. فالممارسة من الشروط الأساسية لعملية التعلم.

أن أي موضوع، يدرس للمراهقين كخبرة حياتيه، يمكن أن يعبروا عنه بتلقائية، سواء كان هذا الموضوع عملية أم نظرية، والمراهق عليه أن يتيقن أن قوة الدفع لديه يجب أن تكون ذاتيه فيتبع نفسه بنفسه في كل خبرة، وينعكس هذا بمزيد من الاستجابات الذاتية على قدر استطاعة المراهق مواصلته التعبير عن خبراته الذاتيه بالخامات المختلفة.

كما يثير البعض هذا التساؤل الرابع:

ما الذي نحاول تحقيقه حقيقة من تدريس الفن للمراهقين؟ هل نحاول بقدر استطاعتنا أن نصنع فنانين صغار؟ أم نحن نستخدم الفن من أجل مساعدة المراهقين كى يكونوا ذوي شخصيات تتميز بالاتزان النفسي عن طريق تنمية قدراتهم على التعبير فنية عن احاسيسهم؟

وفي الحقيقة أن أحد أهدافنا كمعلمين للفن هو محاولة تنمية قدرة الطالب على التعبير فنية، وهذه المحاولة تبدأ مع الطلاب في مرحلة الطفولة بأن نحاول أن نخرج من داخلهم الفنان، وفي نفس الوقت نعلمهم كيف يحققون ذلك عن طريق امتلاكهم للمهارات التي تساعدهم على الأداء الأفضل في الفن (سواء خرج منهم فنانون أم لا).

ولكن إلى أي مدى سيتعمد الطالب على ما يتلقاه من معونة في اتجاه صحيح في مرحلة طفولته، أو مرحلة مراهقته؟

للإجابة على ذلك يمكن القول أنه إذا كانت هذه المعونة هامة سنجد الطالب يتجه في التجربة الفنية عدة اتجاهات عميقة خاصة كلما زاد العمر الزمني، ويصبح متلهفة إلى توجيهات معلمه وتشجيعه، محبة لكل ما يطلبه منه من الدخول في مغامرات فنية

بالقدر الذي يسمح به اهتمامه، تدفعه افكاره إلى الخوض في خبرات متنوعه.

وأخيرا يثير البعض التساؤل الخامس التالى:

كيف يقابل التدريس الاحتياجات الكثيرة والمختلفة للمراهقين؟

في الحقيقة إن الإجابة على التساؤل السابق في غاية البساطة، فأي محيط يتواجد فيه المراهق سنجد فيه الكثير من المثيرات الجمالية، سنجد هذه المثيرات الجمالية في أي منطقة محيطة بأي مدرسة حضرية أو ريفية أو ساحلية سنجد هذه المثيرات الجمالية في التعبير عن الاهتمامات الانسانية العميقة، والعلاقات الإجتماعية المتشابكة، في التعبير عن الحالات النفسية المتنوعة في المعاناة في السرور في الأقدام في الأدبار ....، ولمزيد من الإجابة على التساؤل السابق نعرض النقاط التالية:

1. أن نكسب التلاميذ حب المغامرة والتجريب بالقدر الذي يستطيعونه.
2. أن نتوسع في إستخدام المثيرات المختلفة للقرية والمدينة لكى نقابل احتياجات المراهقين الخاصة.. وحيث يتوافر في كليهما القيم الفنية المختلفة سواء في المنشآت أو الاهتمامات الإنسانية العديدة والمعقدة.
3. أن نهاجم كل أشكال القبح في البيئة المحيطة.
4. أن لا نتقيد بتراكيب وزخارف البيئة المحيطة و البحث عن خامات الطبيعة المتنوعة والتعريف بها داخل حجرة التربية الفنية.
5. أن ننتقل إلى خارج المدرسة حيث المواقع والتراكيب المختلفة التي تساعد على استمرارية العمل المبتكر، وهذا الانتقال سيكون أصعب حالا من داخل حجرة التربية الفنية ولكنه سيكون أكثر أمتاع.
6. أن يكون تركيز عمل المعلم في ممارسة الفن، وفي التجارب الشجاعة أفضل من طلب الراحة، وفي الاستمتاع بما حوله في العالم الحديث أكثر من انشغاله بالتافة من الأساليب القديمة.
7. لكل معلم الحرية في النهاية لتقرير أفضل الطرق بالنسبة له.